الفصل الخامس

بنـــاء وارتقـــاء الشخصية

أولا : الشخصية فى النسق العام للفعل ٠

ثانيا : الأنساق الفرعية للشخصية ٠

ثالثا : الشخصية كنسق للفعل ٠

رابعا : سيكولوجيا التعلم ٠

خامسا : مراحل التنشئة الاجتماعية ٠

سادسا : باثولوجيا الشخصية ٠

سابعا : خاتمـة ٠

بنـــاء وارتقـاء الشخصية

يمكن التنبؤ من خلال العرض السابق بأن بارسونز يجب أن يقدم تحليلا سيكولوجيا للفعل الاجتمـاعى · والحقق أن هناك أسبابا عديدة لتحوله الى هذا الاتجاه · **أولا :** ان فكرة الفعل ـ التى تعد فكرة محورية فى كل مخططة النظرى ـ تتضمن أن الفعـــل الاجتمـــاعى يمتلك طاقة سـيكولوجية ودافعيـــة يجب أن يفسرها بارسونز فى يوم من الايـام · **وثانيا :** أن بارسونز فى تطويره للنظرية العامة فى الفعل أضفى مكانة هامة على النسق الفرعى الخاص بالشخصية وعلاقته بالكائن العضوى من ناحية والانساق الاجتماعية والثقافية من ناحية أخرى · **ثالثا :** لقد اهتم بارسونز اهتماما متزايدا بأعمال فرويد ؛ ولقد قال بارسونز أنه لو اطلع على أعمال فرويد فى مرحلة مبكرة لكرس جزءا له من كتابه الأول :

بنـاء الفعل الاجتماعى :

وانطلقت النظرية السيكولوجية التى قدمها بارسونز من فرويد · فقد اعتقد أنه طور نظرية فرويد وأضاف اليها ، بالرغم من أنه نقد بعض عناصرها · ومع ذلك فالواقع أن بارسونز لا يصنف على أنه فرويدى ، ذلك لأن غرضه الرئيسى هو تطبيق النموذج النظرى العام الذى تم تطويره لدراسة كل أنساق الفعل على تحليل الشخصية · ولهذا فان مدخـــل بارسونز الى مشكلة الشخصية ليس مدخـــل عالم النفس ولا حتى عالم الاجتماع وانما مدخل منظر الفعل action theorist وهذا هو الذى جعله أصيلا وعلامة فريدة فى هذا المجال ·

وليس غريبا الا تكون نظرية بارسونز السيكولوجية معروفة سوى معرفة ضئيلة والا تعالج الا فيما ندر · فلم يستفد بها الا عدد قليل من علماء النفس لأنها جاءت فى لغة غريبة الى حد ما عليهم ، كما لم يهتم بها سوى عدد قليل من علماء الاجتماع لاعتقادهم بأنهـــا شىء هامشى بالنسبة لمجال اهتمامهم ·

وسوف نقدم فى هذا الفصل الخطوط العامة لنظرية بارسونز السيكولوجية مادامت تتصل اتصالا وثيقا بالنظرية العامة فى الفعل وبعلم الاجتماع · وسوف نهمل بالضرورة الكثير من التفاصيل والموضوعات الفرعية(١) ·

أولا : الشخصية فى النسق العام للفعل

المصادرة الأولى التى قدمها بارسونز هنا هى أن الشخصية عبارة عن نسق للفعل ومن ثم يمكن تحليلها بنفس الطريقة التى يتم من خلالها تحليل أى نسق من أنساق الفعل · بعبارة اكثر دقة ، يجب النظر الى الشخصية كنسق فرعى فى النظرية العامة للفعل ، فهى تعتمد على الأنساق الفرعية الأخرى وتستقل عنها فى ذات الوقت · لقد ميز بارسونز الشخصية عن الأنساق الفرعية الأخرى ، ولكنه اعتبرها مرتبطة بهذه الانساق ارتباطا وظيفيا وديناميا ·

ولقد ساعد هذا المنظور بارسونز على أن يقدم فهما غير معتاد للشخصية · **لقد عرف نسق الشخصية على أنه المنطقة التى تتجمع فيها العلاقات بين الكائن العضوى والموضوعات فى البيئة الخارجية ، خاصة الموضوعات الاجتماعية والثقافية** · انه يتجسد فى سلوك أو تصرف تحدده الدوافع · والاتجاهات وعناصر الادراك · بطريقة اكثر تحديدا ، فان الوحدات التنظيمية الأساسية لعملية السلوك هى ما أطلق عليه بارسونز **استعدادات الحاجة** need-dispositions · ويعد مفهوم استعدادات الحاجات مفهوما محوريا فى فهم بارسونز للشخصية · غير أنه رغم استخدامه لهذا المفهوم استخداما واسع النطاق ، الا أن تعريف المفهوم ما يزال غامضا · يكفى الآن أن نقول أن استعدادات الحاجات يتم اكتسابها بالتعلم وليست وراثية أو عزيزية · وهذا ما يميزها عن الدوافع drives التى تعتبر ذات أصل بيولوجى · وذكر بارسونز أيضا أنه استخدم كلمتين هما : الحاجة ـ والاستعداد ـ ليوضح أن المفهوم يتضمن تلقائيا اشباع بعض حاجات نسق الشخصية وفى نفس الوقت الميل نحو السلوك والتفاعل بطريقة معينة ·

وأضاف بارسونز شيئا آخر لتعريفه للشخصية · فالشخصية تتميز عن الانساق الفرعية الأخرى داخل النسق العام للفعل بأولوية تحقيق الهدف · ولهذا فان للشخصية طبيعة غائية بالضرورة ؛ فاستعدادات الحاجات تحدد الأغراض القريبة والبعيدة التى يهدف الى تحقيقها سلوك الفرد أو الجماعة · ووظيفة تحقيق الهدف هذه التى تميز الشخصية تلعب دورا حاسما فى العلاقات بين الشخصية والانساق الاخرى ·

وهذا النوع من العلاقات أصبح مألوفا لنا الآن : وأعنى علاقات الاعتماد والتبادل · فهناك شبكة من العلاقات التبادلية المزدوجة تقيم روابط متعددة من الاعتماد المتبادل بين الشخصية وكل من الأنساق الفرعية الثلاثة الأخرى · فالعلاقات بين الشخصية والنسق العضوى تماثل العلاقات بين الاقتصاد والسياسة · فالكائن العضوى يزود الشخصية بالطاقة والقدرات التكيفية اللازمة للسلوك ·والدور الخاص الذى تقوم به الشخصية ، فى هذه الحالة هو تعبئة هذه الموارد وتوجيهها نحو تحقيق الأغراض المحددة · وهكذا فان نسق الشخصية فى نظرية بارسونز يرتبط ارتباطا وثيقا بالأسس النفسية والحسية · فمن خلال الأجهزة الحسية للكائن العضوى تقيم الشخصية اتصالا مع العالم الخارجى ، ومن خلال الكائن العضوى تستطيع أن تتحكم فى الموضوعات الفيزيقية ، وهى فوق ذلك تستمد من الكائن العضوى طاقة الدافعية · ومع ذلك فان بارسونز قد أصر على أن الشخصية ليست مجرد امتداد للكائن العضوى ؛ وهى ليست مجرد سلوك تحكمه الغرائز والدوافع · فطبقا لمبدأ التدرج السيبرنطيقى الذى قدمه بارسونز تتحكم الشخصية فى الكائن العضوى ، حقيقة أن هذا التحكم يختلف فى درجة فاعليته ، ولكنه موجود على أى حال ·

ويمكن النظر الى تبادل الجزاءات والتدعيم المتبادل فى التفاعل (موقف التطابق المزدوج المشار اليه فى الفصل الثالث فيما سبق) على أنها تمثل نسقا للتبادل بين الشخصية والنسق الاجتماعى · فالمحقق أن الشخصية تدخل الى النسق الاجتماعى فى شكل أدوار اجتماعية ، فالدور هو ذلك الجزء من الشخصية الذى يطلق عليه الهوية الاجتماعية ·

والادوار الاجتماعية هى التى تمكن الفاعلين من النظر الى بعضهم على أنهم موضوعات اجتماعية · فالاشباعات التى يسعى الى تحقيقها فاعل فى أى علاقة اجتماعية ترتبط من ناحية بالجزاءات الايجابية التى يمكن أن يقدمهـــا الآخرون ، وترتبط من ناحية أخرى بالاشباعات التى ينتظر هؤلاء الآخرون الحصول عليها من فعل الفاعل الأول(٢) ·

وفى عملية التبادل بين الشخصية والنسق الثقافى ، فان « العناصر الضابطة »Regulatory cues تؤدى نفس وظيفـــة التحكم التى تؤديهـــا الجزاءات فى التبادل بين الشخصية والنسق الاجتمـــاعى · فالوظيفة الرئيسية للثقـافة ـ من وجهـــة نظر الشخصية ـ هى التزويد بالمعايير والقيم التى تنمى التكامل السيكولوجى الداخلى · فالقيم والمعايير تقدم الى الشخصية ما اطلق عليه بارسونز الشرعية Legitimation ـ بمعنى الأساس المعيارى الذى يثبت الأهداف ويوجه السلوك ·

ومن المزايا التى رأها بارسونز فى صياغته للعلاقة بين الشخصية والكائن العضوى ، والنسق الاجتماعى ، والثقافة هى أنها تتجنب الوقوع فى التفسيرات المتطـرفة · فهى تتجنب الوقوع فى التفسير القـائم على الرد البيولوجى biological reductionism الذى ســـيطر على النظرية السيكولوجية واستخدم من أجل اضفاء أهمية بالغة على دور الغرائز والبناء الفسيولوجى · وفى اعتقاد بارسونز أن فرويد لم يتجنب هذا الخطأ اكثر من السلوكيين · وفى نفس الوقت فان صياغة بارسونز تتجنب الخطـأ الثـــانى الذى يرتبط بمدرســـة « الثقـــافة والشخصية » التى قدمهـــا الانثروبولوجيون الذين يميلون الى تأكيد تأثير الثقافة على الشخصية على حساب العوامل البيولوجية · فقد نقد بارسونز أيضا هذه المدرسة لأنها لم تفرق بين الجوانب الاجتماعية والجوانب الثقافية · فالمخطط الذى قدمه بارسونز يهدف الى وضع العلاقة بين الشخصية والأنساق الفرعية الأخرى فى منظور متوازن مع تحديد تدرج الضوابط والمسار الذى تسير فيه ·

ثانيا : الانساق الفرعية للشخصية :

عندما تصبح الشخصية هى نقطة الانطلاق ، فانه يجب ـ فى ضوء نظرية بارسونز ـ تحديد أربعة أنساق فرعية داخلهـــا ، كأى نسق من

انساق الفعل · ومع ذلك فان بارسونز لم يقدم تحليلا دقيقا للتنظيم الداخلى للشخصية كما فعل مع النسق الاجتماعى ، والاقتصاد والنظرية العامة للفعل · وبناء على ذلك فان بارسونز لم يعرف الانساق الفرعية للشخصية بدقة وظلت غير محددة داخل اطاره النظرى ·

لقد أدرك بارسونز أن فرويد قد حدد وحلل ثلاثة أنساق فرعيـــة داخل الشخصية : الهو id والانا ego والانا الاعلى superego · ولقد يبدو أن بارسونز قد ساوره الشك فى استخدام هذه المفاهيم الثلاثة التى لا تتطابق مع تقسيماته الرباعية · ومع ذلك فقد ذهب الى أن الشخصية ترتبط اساسا بالكائن العضوى من خلال الهو(*) ولذلك فان وظيفة الهو يجب أن تنحصر في التكيف · امـا الأنا فانه يعبىء ويوجه امكانيـــات الشخصية فى علاقاتها الداخلية والخارجية ، ومن ثم فانه يمكن أن يرتبط بتحقيق الهدف · أما وظيفة الانا الاعلى فانها التنسيق بين الهو والانا من خلال الادوار الاجتماعية واساليب الجزاء المستدمجة داخل الشخصية· وهنا أضاف بارسونز الى نظرية فرويد وكملها · ويبدو أن الادوار التى يؤديها كل من الهو والانا كانت واضحة نسبيا بالنسبة لبارسونز ، بالرغم من أن المعنى الذى أضفاه عليها بارسونز يختلف ــ فى رأيى ــ عن المعنى الذى أضفاه عليها فرويد · ولذلك فقد وجه بارسونز كل اهتمـــامه للأنا الاعلى فهو يشتمل على ضرب من الغموض لأنه يرتبط ــ على ما يبدو ــ بوظائف التكامل والمحافظة على النمط فى وقت واحد · ولكى يزيح هذا الغموض عن نموذج فرويد ذهب بارسونز أن الانا الاعلى يؤدى نفس الوظيفة التى اضـــفاها عليه فرويد : واعنى استدماج نسق التفـــاعل والادوار الاجتماعية ومظـاهر الجزاء · ومن ثم فان الانا الاعلى يؤدى وظيفة التكامل داخـل نسق الشخصية ؛ فمن خـــلاله تمارس المعـــايير ومتطلبات النسق الاجتماعى الرقابة على الشخصية ·

ومع ذلك فما تزال الصـورة بحاجة الى تكملـة بنسق فرعى رابع لم يكتشفه فرويد ، يتعلق بوظيفة المحافظة على النمط ، والذى من خـلاله

(*) يشير مصطلح الهـو id الى الجانب اللاشعورى فى النفس الحاوى لجميع الدوافع الغريزية الخاضعة لمبدأ اللذة · المترجمـان

ترتبط الشخصية بالاطار الثقـــافى من الرموز والقيم والمثـــل العليـــا والايديولوجيات · واستخدم بارسونز هنـا مفهـوم « الهوية » identity وهو يشير الى « النسق الأساسى من المعانى لشخصية الفرد »(٣) وهذا النسق هـو الذى يؤدى الوظيفة الرابعـة · وتكتسب الهوية من خـلال التنشئة الاجتماعيـة ، ومتى تكونت فانها تكون اكثر جوانب الشخصية استقرارا ·

« فلا يمكن أن تتغير من خلال الاثابات العادية التى يحصل عليها الفرد من بيئته أو من خلال الاحباطات كما تتولد داخل الهو أو الأنا ··· أنها اكثر حساسية بتأثير الأنا الاعلى على الرغم من أنها تظل تحتـــل مكانة أعلى من الانا الاعلى فى سلم التدرج السبرنطيقى »(٤) ·

الهوية باختصار تعمـــل على تنظيم الانســـاق الفرعية الاخـــرى والعلاقات الداخليـة بينها والمحافظـة على قـدر من الاتساق بين هذه العلاقات بحيث يسلك الفرد من خلال « طابع » character معين ·

ومع ذلك فان بارسونز لم يقدم الا الخطوط العامة لهذا التحليل فى أعماله(٥) · والتزم بارسونز بمقولاته التحليلة الخاصة فى تحليل تنظيم الانساق الفرعية للشخصية والعلاقات الداخلية بينها · ولهذا فاننا نجد هنا أيضا نموذج الوظائف الاربعة (أ ت ك ن) ؛ فبارسونز يرتاح الى التعامل مع هذا النموذج اكثر من أى نموذج تحليلى آخر · ويقوم هـذا التنميط على المبدأ (الذى أشرنا اليه آنفا فى حديثنا عن علم الاجتمـــاع المقارن عند بارسونز) والذى مؤداه أنه فى أى صورة واقعية لأى نسق من أنســاق الفعـل لا تكون الانســاق الفرعيـة الأربعـة داخلـه على نفس الدرجة من الأهمية · فقد يتحقق لنسق أو اكثر أفضلية على الانساق الأخرى بسبب ظروف خاصة أو ملابسات خاصة أو تطور معين · وفى ضوء ذلك فان نسق الفعل الذى يكون فيه نسق التكيف (الذى يؤدى وظيفة التكيف) هو النسق الغالب يختلف فى طابعه عن نسق الفعل الذى يكون فيه نسق تحقيق الهدف أو التكامل أو المحـافظة على النمط هـو النسق السائد · ويمكن أن نسير مع هذه التصنيفات خطوة أخرى · فبعد تحديد

أهمية أحد الأنساق الفرعية الأربعة ، فان الانماط الاربعة الناتجة تختلف فيما بينها طبقا للاهمية النسبية للانساق الفرعية الثلاثة الأخرى • ففى انساق الفعل التى يكون فيها نسق التكيف هو النسق الغالب أو السائد ، فان نسق التكامل يمكن أن يكون أهم من نسق المحافظة على النمط والعكس بالعكس •

ويتعدد التنميط الذى اقامه بارسونز لانواع الشخصية باستخدام مبدأ الأهمية النسبية للأنساق الفرعية ، يتعدد حتى يصل الى ثمانيـــة وعشرين نمطا ، ونحن لا نستطيع أن نستفيض فى شرح كل هذه الانماط هنا(٦) • وحسبنا أن نكتفى بالحديث عن الخطوط العامة للانماط الأربعة الاساسية التى وصفها بارسونز • فالشخصيات التى تسيطر عليها وظيفة تحقيق الهدف تتجه نحو تحقيق أغراض فى حد ذاتهـــا ، مع توجيه كل الطاقة والموارد لتحقيق هذه الاغراض • وتكون النتيجة أن أصـــحاب هذا النمط من الشخصية يهتمون بالقوة بصفة خاصة • ويجب أن نتذكر هنا أن القوة لها معنى محدد (دقيق) فى النظرية السياسية عند بارسونز• وهى تعنى ـ بالتطبيق على نسق الشخصية ـ القدرة على التحكم (ضبط) فى أفعال الآخرين لخدمة الأهداف التى تسعى الانا الى تحقيقها • وهذا النوع من الشخصية يكون مستعدا للتغاضى عن الاشباعات السريعة أو تأجيلها اذا ما كانت عقبة أمام تحقيق الاهداف المحددة •

أما نمط التكيف فانه يرتبط بنظرة نفعية عامة ومن ثم فانه يتســم بقدر من المرونة اكثر من النمط السابق • فهذا النوع من الشخصية يميل الى تحقيق اشباعات سريعـــة مقارنة بالنمط الســـابق • والاشباعات السريعة فى هذا المجال يمكن الحصول عليها من الفن من أجل الفن أو من المعرفة لقيمتها فى حد ذاتها أو حتى من الثروة من أجل تحقيق سعادة من خلال التملك •

ويكون التوجه فى هذين النمطين الســـابقين من انماط الشخصية متجها ـ أساسا ـ نحو موضوعات خارجية • أما فى النمطين الأخيرين فان الأولوية تكون للتنظيم الداخلى للشخصية • فعندما تســـوء خاصية المحـــافظة على النمط فان الشخصية تنتظم حـــول مجموعة من القيم

بالايديولوجيات · وهذا هو النمط المثالى للشخصية الذى يميل الى رفض أى مصالحات فى الامور الضرورية التى تتطلب اشكالا من التكيف ·

أما نمط الشخصية الذى يتصف بالتكامل فانه يرتبط بالتوازن والاتساق الداخلى للشخصية ذاتها · ومن ثم فان الهدف الجوهرى لهذا النمط للشخصية هو العيش فى سلام مع الذات ومع الآخرين ، ذلك لأن هذا النمط مهيأ لأن يضحى ببعض اغراضه أو قيمه الخاصة طبقا لما اذا كانت خاصية المحافظة على النمط أو خاصية تحقيق الهدف هى الخاصية الأقوى ·

يمكن أن نرى هنا أن بارسونز قد استفاد من نموذجه التحليلى العام لتقديم تصنيف لا يمكن ان يجزم أحد بأنه خال من الفائدة · وعلى أى حال فان هذا التنميط يتطلب تحققا امبيريقيا من خلال بحوث الشخصية فى ضوء الخطوط التى يقترحها ·

ثالثا : الشخصية كنسق للفعل

كان الهدف من الجزء السابق من هذا الفصل هو تحديد مكان نسق الشخصية داخل اطار النظرية العامة للفعل عند بارسونز · ويبقى لنا أن نحلل التنظيم الداخلى والاداء الوظيفى للشخصية ·

أشرنا من قبل الى أن بارسونز نظر الى نسق الشخصية على انه نسق للفعل · ويعنى ذلك أنه (النسق) من الطاقة والميكانيزمات التكاملية التى تقدم على الفعل وتوجهه · وهناك جانبان للشخصية كنسق للفعل هما : **الأداء** (أو السلوك) **والتعلم** · ويكمل كل من هذين الجانبين الآخر ، فأى أداء قد يشتمل على تعلم ، والتعلم لا يتم الا من خلال الأداء · ولكن من المفيد التمييز بين هذين الجانبين للشخصية ، واضعين فى اعتبارنا أن الأداء هو محصلة تنظيم الشخصية ، والتعلم هو العملية التى يتطور من خلالها تنظيم الشخصية · وبالرغم من أن بارسونز قد أولى اهتماما اكبر للتعلم ، فقد كان عليه أن يطور تحليله للسلوك أو الأداء ، وسوف نناقش هذا الموضوع أولا ·

ذهب بارسونز الى أن استعدادات الحاجة need - dispositions تكمن

خلف كل مظاهر السلوك ، وهى قوة محركة بالضرورة : من حيث أنهـــا تمد الفعل بالدافعية · وكما لاحظنا من قبل فان استعدادات الحاجة كما عرفها بارسونز ليست وراثية وانما تكتسب بالتعلم · انها تتطور باطراد داخل الشخصية ، وتتعدد من خلال التباين المستمر · فاستعدادات الحاجة لدى الطفل الصغير لا تكون متعددة ؛ غير أنها تزداد باطراد مع تقـــدم الشخصية نحو النضج ·

ومفهوم استعدادات الحاجة يمكن أن يفسر حلقات معينة من السلوك، ذلك لأن هذه الاستعدادات تقيم علاقات سببية فعلية بين اهداف معينة ، ووسائل وظروف معينة · ومع ذلك فانها لا تفسر بمفردها تنظيم الشخصية كنسق للفعل · لابد من وجود عنصر آخر ــ هو القيم · فمن خلال القيم يمكن اقامة روابط وعلاقات بين استعدادات الحاجة المختلفة وهى روابط وعلاقات ضرورية للمحافظة على قدر من الاتساق فى ترتيب استعدادات الحاجة كما انها تضفى على السلوك قدرا من الاستمرارية فى المـــدى البعيـــد ·

وتتجسد هذه العلاقة بين استعدادات الحاجة والقيم تجسيدا حقيقا فى الادوار الاجتماعية · فموقف التطابق المزدوج الذى يتضمن توقعات متبادلة مرتبطة بالادوار فى التفاعل الاجتماعى يعتبر ذا أهميـــة فى هذا المجال · فالشخصية تقوم ــ من خلال أدائها للادوار الاجتماعية ــ بتنظيم وترتيب استعدادات الحاجةالخاصة بها ، بحيث تستجيب لتوقعات الأدوار ، وضـــروب الجـــزاء المرتبطـــة بهـــا ، ومن ثم تقيم نوعا من الاتصـــال بين استعدادات الحاجة والقيم التى تقوم عليهـــا أدوار الشخصية · وبصفة عامة فانه من خلال الادوار يتم ترتيب وتحديد الاهداف العامة فى عملية التفاعل ، كما يتم من خلالها (الادوار) التوفيق بين استعدادات الحاجة والقيم · وبهذا المعنى تقوم الشخصية ككل باداء وظيفة تحقيق الهدف داخل النظرية العامةللفعل ·

وتبدو الشخصية من خلال هذا المنظور وكأنها مكان تتجمع فيـــه الدافعية والطاقة ، وكل منهما ذو أصـــل بيولوجى من ناحيـــة ، والقيم والمعايير الخاصة بالبيئة الاجتماعية والثقـــافية من ناحية اخـــرى ·

فالشخصية تحتـــل درجة وسطى فى التدرج السبرنطيقى : حيث تتلاقى وتتصارع الطاقة القادمة من أسفل التدرج والمعلومات القادمة من اعلاه ـ بمعنى عوامل التكيف التى تفرضها البيئة الفيزيقية والبيولوجية وعوامل الضبط التى تتولد فى المستوى الثقافى الاجتماعى · وهذا هو الذى جعل بارسونز يؤكد على أن أهداف الشخصية لا تفرض عليهـــا من مجموعة واحدة من استعدادات الحاجة ؛ فقد رفض هذا التفسير على أنه نابع من نزعة سيكولوجية وبيولوجية مفرطة · فلكى يكتسب السلوك قـــدرا من الترابط والاتساق فان استعدادات الحاجة يجب أن تنتظم بطريقة ثابتة ومستقرة · ولا يمكن تحقيق هذا الا من خلال الرجوع الى القيم والاهداف العامة التى تتحدد وتتجسد فى نماذج للادوار والجزاءات ·

ويحتـــاج تنظيم الشخصية الى شىء آخـــر · فيجب تزويدها من الخارج بشيئين ضروريين : المعلومات والدافعية · ودائما ما يستخـــدم بارسونز كلمة « المعلومات information بمعنى شديد العمومية لتشير الى أى ضرب من المؤثرات الخارجية التى تستقبلها الشخصية والتى يختلف معناها طبقا للقواعد التى اكتسبتها الشخصية · أما بالنسبة للدافعيـــة فان بارسونز قد قصد بها كل الطاقة الداخلية التى تعد بمثابة الوقود بالنسبة للشخصية · والمعلومات والدافعية اما أن يوجدان فى البيئـــة الخارجية عن الشخصية ، أو يتم استدماجهما داخل الشخصية · ونظر بارسونز الى كل من المعلومات والدافعية على أنها عوامل محركة للفعل ، وميز فى هذه العوامل بين « المدخلات » « والمخرجات » · وهـــو تقسيم مشتق من النموذج الاقتصـــادى الذى يستخدمه بارسونز باستمرار · ومن الاهمية بمكان أن يستخدم بارسونز التوازن بين المدخلات والمخرجات لتفسير المرض النفسى ·

ويلخص الشكل رقم (١٣) المدخلات والمخرجات الرئيسية فى نسق الشخصية · واذا بدأنا بقراءة الجانب الخاص بالدافعية أولا فاننا نجد نوعين من الاثابات Rewards تشـــكل المقومات الرئيسية للفعـــل بالنســـبة للشخصية · فالاثابات الموقفية هى الاغراض الخارجية التى تحددها الشخصية فى توقعها لشكل أو آخـــر من أشـــكال الاشـــباع

gratification · أما الاثابات النرجسية Narcissistic rewards فانها اغراض تسعى الشخصية لتحقيقها من أجل التخلص من التوترات الداخلية ، فى توقعها لاشكال مختلفة من الاشباع الذاتى Satisfaction .

شكل الموضوعات الخارجية
مصـــادر المدخـــلات

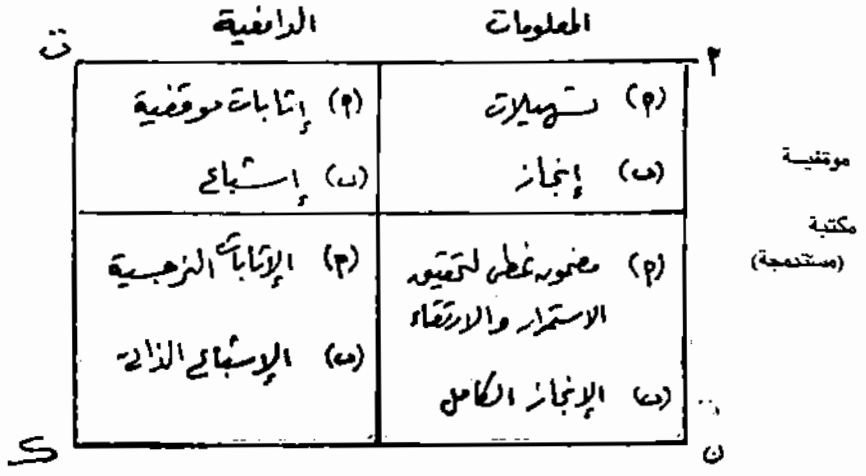

أ = أنماط مدخلات متباينة
ب = أنماط مخرجات
شكل (١٣) المدخلات والمخرجات فى نسق الشخصية

أما الجانب الخاص بالمعلومات من هذا الشكل فانه يتعلق بالوسائل الضرورية للحصول على الاثابات · فالتسهيلات أو الموارد تستخدم لتحقيق الانجازات · ويحتاج نسق الشخصية أيضا الى مدخـــلات من النماذج الثقافية التى تساهم فى تحقيق استقرار تطورها الداخلى والى تحقيق انجاز كامل accomplishment فى وسط جماعة معينة ·

ويمكن أن نرى هنا أن هناك علاقة منتظمة بين المدخلات والمخرجات · وهناك أيضا شبكة معقـدة من العـــلاقات بين المخرجات ؛ ومن ثم فان الاثابات التى تقدوم عليهـــا الدافعية تعتمد على التسهيلات والنمـــاذج الثقـــافية · وأخيرا يجب أن نلاحظ أن بارسونز قد ربط مركب المدخلات والمخرجات بمقولاته التحليلية الأربعة (أ ت ك ن) ·

رابعا : سيكولوجيا التعلم

كما رأينا فيما سبق ، قسم بارسونز موضوع علم النفس الى فئتين رئيستين : الاداء والتعلم · واعتقد بارسونز أن التعلم هو المقولة الاكثر أهمية بالنسبة لنظرية علم النفس ـ وعلى الأقل فانه اكثر اهتماما بهـا ؛ فالتعلم هو الرابطة الهامة بين الشخصية والبيئة الاجتماعية الثقافية ؛ انه يلقى الضوء على تفسير الانساق الفرعية المختلفة للفعل كمـا انه يحرر علم النفس من النزعة البيولوجية المفرطة ومن التفسير على ضوء فكرة الغرائز ·

والتعلم ، مثله مثل أى عملية أخرى ، يخضع لمبـدأ بارسونز عن التباين والتكامل · فالتعلم يتم من خلال عملية تباين يتم من خلالها تقسيم الابنية الى أجزاء باستمرار ؛ وفى المقابل تقيم عملية التكامل نمطا جديدا من التوازن كما تقيم علاقات وظيفية بين الوحدات الجديدة ·

وأضاف بارسونز الى هذا المبدأ مبدأ اخر هو مبدأ الانقسام الثنائى binary fission والذى أصبح مبدأ هاما جدا فى نظريته السيكولوجية · اكد بارسونز أن التباين فى الانساق السيكولوجية يحدث دائما من خلال انقسام الوحدات الموجودة الى جزئين · فقد طبق هذا المبدأ ـ مثـلا ـ على تطور استعدادات الحاجة مستخدما اياه لاستنباط ما اسماه بالتسلسل الجنيولوجى لاستعدادات الحاجة(٨) · فكما سنوضح بالتفصيل فيما بعد، فان شخصية الطفل الوليد لا تمتلك الا استعدادا واحدا ، هـو التبعية الفمية oral dependency · ومن خـلال التفـاعل مع الأم ينقسم اسـتعداد التبعية الفمية فى فترة الازمة الشرجيـة anal crisis الى استعدادين احدهما يدعم التبعية والثانى يدعم الاستقلال · وفى المرحلة التالية ينقسم هذان الاستعدادان بدورهما انقساما ثنائيا وهكذا · واعتقد بارسونز أن هذا المبدأ يعد مبـدأ جوهريا ، فهو يؤكد على أن ارتقـاء الشخصية ليس نتيجة لتطور الغرائز ، ولكن نتيجة لمركب من العمليات التى لا ترتبط بالبيولوجيا وانما بالنظرية العامة فى الفعل ·

العلاقة بالموضوعات الخارجية عناصر المعنى

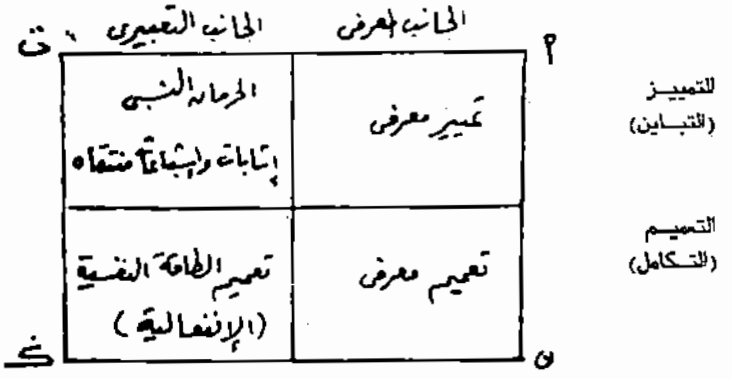

شكل رقم (١٤) نموذج تحليلي للتعلم

واستخدم بارسونز ايضا مبدأ التباين ليكون ما أسماه بالنموذج التحليلي للتعلم ، والموضح فى شكل (١٤)(٩) · ولقد ذهب الى أن هذا النموذج هو تطبيق لفكرة المدخلات والمخرجات (الموضحة فى شكل ١٣) على عملية التعلم · فكل من الشكلين يقوم على نفس التقسيمات : فهناك ـ من ناحيـة ـ تفرقة بين الجوانب المعرفيـة والجوانب التعبيرية وهى تتوازى مع التفرقة بين المعلومات والدافعية (فى شـكل ١٣) ؛ ومن ناحية اخرى هناك تفرقة بين التمييز والتعميم ، وهى تتوازى مع التفرقة بين الموضوعات الموقفية والمستدمجة ·

ويهدف هـذا النموذج التحليلى الى تفسير الدائرة الكاملة للتعلم فى مرحلة معينة من مراحل التنشئة الاجتماعية · فاذا بدأنا قراءة الشكل (١٤) من أ الى ن فان كل عمليات التعلم تبدأ بفترة من التمييز المعرفى · ويحدث هذا عندما يفشل سلوك معين ـ اثبت نجاحه فى موقف سابق ـ فى تحقيق نجاح فى موقف جديد ، حيث يعوق تحقيق الهـدف ويتضمن بعض العقاب : ولهذا فان الطفل الوليد يجب أن يصرخ لكى يلفت الانتباه ويحصل على الطعام فى غياب الأم ، ولكن فى وجود الأم ـ وبعد مرور فترة من التنشئة ـ فان نفس هذا الصراخ سوف يزعجها ويجعلها تسحب الاثابات التى تقدمها للطفل(١٠) · ولذلك فان الطفـل الوليد يجب أن يزود ببعض الأدلة القرائن) clues الواضـحة والمستقرة لتمكنه من

التمييز بين الموقفين · فيجب أن يكون قادرا على مقارنة الاشباع الذى يحصل عليه من نفس السلوك فى موقف معين مع الاحباط الذى يسببه هذا السلوك فى موقف آخر ؛ ويؤدى ذلك الى اكتساب خبرة **بالحرمان النسبى**· ويمكن حل المشكلة فى البحث عن حالة جديدة من التكامل من خلال التعميمات المعرفية والانفعالية cathectic · والموقف الجديد ـ الذى يكون مصدرا للاحباط ـ لابد من أن يثير نفس المشاعر التى تثيرها الموضوعات الخارجية التى خبرها الفرد بالفعل على أنها مشبعة · ويتم هذا من خلال ربط الموقف الجديد ربطا رمزيا بالمواقف الأخرى التى كانت مصدرا للاشباع ·

ويعتقد بارسونز انه يمكن ربط هذا التفسير لعملية التعلم بميكانيزمات التنشئة الاجتماعية وارتقاء الشخصية كما حددها ووصفها المحللون النفسيون الفرويدون · وتعمل هذه الميكانيزمات ـ حسبما فسرها بارسونز ـ على المحافظة ، أو تحقيق ـ التوازن بين المدخلات والمخرجات بحيث تنظم العمليات السيكولوجية ويتحقق بينها قدر من التناغم · فدائرة التعلم تتضمن بالضرورة توزيع التوازن بين المدخلات والمخرجات كلما ظهرت معلومات جديدة أو دافعية جديدة · ولهذا فانه من المنطقى أن يكمل النموذج التحليلى للتعلم بادخال الميكانيزمات الفرويدية · وهذا هو ما يوضحه الشكل رقم (١٥)(١١) ·

تتضمن كل مجموعة من المجموعات الأربعة التى ميز بينها بارسونز عددا من الميكانيزمات الفرويدية · فميكانيزمات التكيف الأولى تتضمن الاشباع النرجسى ، والتخيل fantasy ، والعدوان والقلق · أما ميكانيزمات الحرمان النسبى فتشتمل على الكف inhibition والاسقاط projection · وتشتمل ميكانيزمات الاستدماج على الابدال substitution والتوحد · وأخيرا فان ميكانيزمات التدعيم (التعزيز) reinforcomet فتشتمل على تكامل الانا الايجابى positive ego-integration وكذلك ميكانيزمات الانا الاعلى مثل الشعور بالذنب ، والخجل والتبرير أو نكران الذات وتخفيف التوتر من خلال الطقوس ·

شكل رقم (١٥) تصنيف للشخصية وميكانيزمات للتنشئة الاجتماعية

خامسا : مراحل التنشئة الاجتماعية

يقودنا كل ما ناقشناه فى هذا الفصل فى النهاية الى ظاهرة التنشئة الاجتماعية للشخصية والتى تعد محل اهتمام رئيسى بالنسبة لبارسونز · فهذه هى العملية التى تفسر اصل استعدادات الجاحة ، والانساق الفرعية للشخصية ، وكذلك تنظيمها وديناميياتها · فمنذ بداية الحيـــاة البشرية وخلال وجودها تتشكل الشخصية ـ وفق تعريف بارسونز لها ـ وتتعدل من خلال بيئة اجتماعية ثقافية معينة · فالشخصية كنسق للفعل تتطور تطورا مستقلا استقلالا نسبيا ، وفقـــا لحاجاتها الخاصـــة وديناميياتها الخاصة ، ولكنها تحتاج أيضا الى مقومات اخرى تقدمها انساق فرعية اخـرى للفعل ، خاصة المجتمع والثقـافة ، بجانب النسق البيولوجي ·

ولذلك فان الأنساق الاجتماعية والثقافية لها نفس أهمية النسق العضوى البيولوجى فى تطور وتشكل الشخصية ، هذا ان لم تكن اهم منه ٠

لقد لاحظ فرويد هذا والقى عليه بعض الضوء ٠ ولكن بارسونز أضاف شيئا جديدا لم يستوعبه فرويد جيدا ٠ فالشخصية كنسق للفعل لا تستدمج الموضوعات الخارجية بصورة فردية ٠ ان ما تستوعبه الشخصية هو انساق التفاعل بين الموضوعات الاجتماعية ٠ وغير بارسونز ايضا مما اكده فرويد عندما القى (بارسونز) الضوء على بناء العلاقات الاجتماعية التى تشكل الوسط الذى يعيش فيه الشخص فى المراحل المختلفة من دورة حياته ٠

هذه هى الخطوط العامة التى حاول بارسونز من خلالها تقديم اسهام أصيل فى تحليل التنشئة الاجتماعية ٠ لقد اعتبر بارسونز اكتشاف مظاهر عدم الاستمرار discontinuties فى عملية التنشئة الاجتماعية أحد اكتشافات فرويد الرئيسية ٠ غير انه رأى أن فرويد قد فشل فى تقديم تحليل علمى لبناء العلاقات الاجتماعية كنسق تحدث داخله عملية التنشئة الاجتماعية ٠ وأخذ بارسونز على عاتقه سد هذا النقص ٠ وانطلق فى هذا من الاطار المرجعى لدراسة فرويد للتنشئة الاجتماعية ، ولكنه أولى اهتماما لأنساق العلاقات الاجتماعية التى يستدمجها الشخص والتى تساعد على تكوين البناء النفسى له ٠

ميز بارسونز بين أربعة أوجه لارتقاء (تطور) الشخصية ٠ وهى الأوجه التى يوضحها الشكل رقم (١٦) (١٢) ٠ وليس من الضرورى ــ كما اكد بارسونز ــ أن تظهر هذه الأوجه واحدة تلو الأخرى باستمرار ٠ على العكس من ذلك ، فان التنشئة الاجتماعية تسير وفق نمط جوهره عدم الاستمرار ؛ فالشخص يمر من مرحلة استقرار نسبى الى مرحلة يمر فيها بأزمة يؤدى حلها الى مرحلة جديدة من الاستقرار عند مستوى أعلى من التنظيم والاداء ٠ فالعملية تسير فى خط حلزونى : فالتنشئة الاجتماعية تتم من خلال مراحل متتالية كل واحدة منها تكون اكثر تقدما عن سابقتها ٠

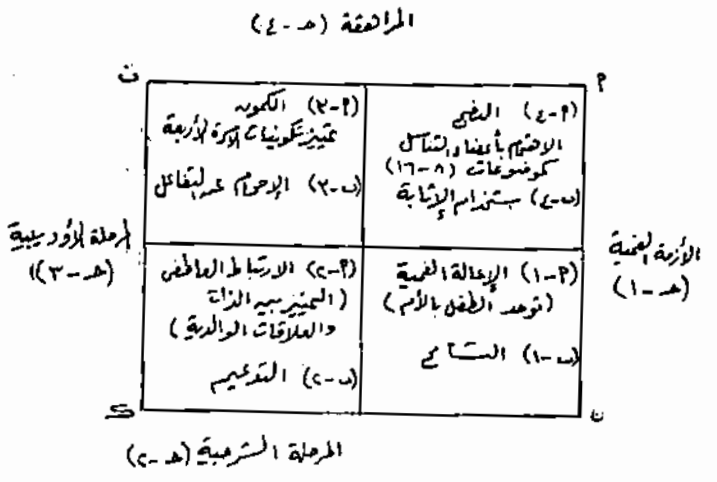

أ ـ (١ـ٤) مراحل التطور الجنسى ـ النفسى
ب ـ (١ـ٤) مراحل تعلم عملية للضبط الاجتماعى
جـ ـ (١ـ٤) أزمات الانتقال من مرحلة الى أخرى

شكل رقم (١٦) مراحل للتنشئة الأربعة

والشكل رقم (١٦) ـ والذى يجب أن يقرأ بدءاً من ن ثم ك ت أ ٠ فالمراحل المشار اليها بالرموز من (أ ـ ١) الى (أ ـ ٤) تمثل المراحل الأربعة الرئيسية للاستقرار النسبى فى نسق الشخصية ٠ ويرتبط بكل مرحلة بعض الميكانيزمات الخاصة لتعلم الضوابط الاجتماعية ، وهى الميكانيزمات المشار اليها بالرموز من (ب ـ ١) الى (ب ـ ٤) ٠ أما فترات الأزمات التى تتخلل مراحل الاستقرار ، والتى تسبب التغير وتؤدى الى مرحلة جديدة فى ارتقاء الشخصية ، فانها صنفت تحت الرموز من (جـ ـ ١) الى (جـ ـ ٤) ٠

واهتم بارسونز اهتماما خاصا بتحليل انماط العلاقات الاجتماعية المرتبطة بكل مرحلة من مراحل تطور الشخصية ٠ فالمرحلة الأولى ، وأعنى مرحلة التبعية الفمية ، ترتبط بأبسط أنواع العلاقات الاجتماعية ، تلك العلاقات التى تربط بين فردين ، هما الام والطفل ، ويعتمد الطفل اعتمادا كاملا على الأم حيث تقدم له الاشباعات الأساسية التى يحتاج اليها وتشكل مثل هذه العلاقات الاجتماعية الانساق الاجتماعية الحقيقة انها تمثل أصغر صور النسق الاجتماعى احتمالا كما ذهب بارسونز ٠

وتعد هـذه الانساق من العلاقات انساقا اجتماعيـة لأن هناك ضربا من التوقعات المتبادلة بين الفاعلين ، ونمطا بسيطا من الاتصال قائما على تبادل الأفعال وردود الأفعال ، مع وجود مجموعة من القواعد لتفسير هـذه الافعال والتفاعلات ٠

ولقد اطلق بارسونز على هذه المرحلة مرحلة الاعتماد الفمى لأن الفم يلعب الدور الرئيسى فى علاقة الطفل بامه ٠ فانتقـال الجنين من مجرد « كائن عضوى » الى طفل رضيع يتميز بمـا اسـماه بارسونز « الأزمة الفمية » ، والتى تتضمن ظهور الحاجة الى أخذ الغذاء عن طريق الفم وظهور ضرورة التعلم السلوكى ٠ويطور الطفل ، من خلال عملية التغذية وما يصاحبها من اتصال ، أول أشكال التفاعل ٠ ويعتبر أول شكل من أشكال التفاعل أيضا أول شكل من أشكال الأشباع ، فالفم هو الوسيلة التى يتطور من خلالها الاشباع بطريقة محددة ٠ وتظهر فى هذه المرحلة الاثارة الجنسية الفمية كشكل من اشكال اللذة سوف تعتمد عليه الشخصية فيما بعد باستمرار ٠

والخاصية الرئيسية لهذا النسق الاجتماعى البسيط هى أن الأم (أو من ينوب عنها) هى مصدر كل الرعاية للطفل ٠ وهذا هو السبب فى انها تصبح الموضوع الخارجى الذى يكون من خلاله الطفل توقعـاته واشباعاته ٠ وتكون النتيجة أن تولد الرعـاية التى تقدمهـا الأم والتى يتوقعها الطفل تفاعلا بين اثنين يكون فيه الطفل هو الطرف المعال ٠ فالام ، بوصفها الوسيلة الوحيدة للاشباع بالنسبة للطفل ، تمتلك قوة مطلقة عليه ومن ثم يكون الطفل فى حالة خضوع كامل ، وتوقع واعتماد مستمر ٠

وتتميز المرحلة الثانية بالتباين بين الأم والطفل ٠ حينئذ لا يعـد التوحد مع الأم بنفس الدرجة التى يوجد بهـا فى المرحلة الأولى ٠ وهنا يبـدأ الطفل فى الاحساس بأن الأم تتوقع منه شيئا ما ٠ وفى نفس الوقت فان ما يستطيع أن يفعله يرتبـط ـ باستمرار ـ ارتباطا شـرطيا بقبـول الأم أو بعقابها له ٠ ومن ثم يصبح الطفل على وعى بأنه يستطيع ـ من خلال افعاله ـ أن يتحكم فى درجة قبول الأم لسلوكه وتدعيمها له ٠

والأزمة الشرجية The anal crisis هى التى تسبب الانتقال من المرحلة الأولى الى المرحلة الثانية · فقد أوضح التحليل الفرويدى أن التبرز هو أول المنتجات الشخصية للطفل ، ومن ثم فانه يتعلم كيف يستخدمه فى علاقاته بوالديه ، لكى يكسب رضاءهما أو لكى يعاقبهما ·ولهذا فان التبرز يرتبط بمعنى رمزى عميق فى عملية التفاعل · ولذلك فان بارسونز رأى أن الفترة الشرجية هى المناسبة التى يحدث فيها الانقسام الثنائى : حيث يقيم الطفل تمييزا بين ذاته وبين امه أو الديه · وهنا ينكسر التوحد الكامل بالام لأن الطفل يستطيع أن يفعل شيئا بمفرده ، وتصبح العلاقة بالأم مرتبطة ارتباطا جزئيا بهذا ·

فلم تعد العلاقة بين الطفل والأم ـ فى هذه المرحلة الثانية ـ علاقة ذات جانب واحد ، فلم تعد الأم هى الموجهة الوحيدة لهذه العلاقة · ومن ثم فان أيا من طرفى العلاقة يستطيع أن يمتنع عن التبادل · العلاقة هنا تصبح علاقة تفاعل حقيقى بالنسبة لكلا الفاعلين · ولهذا فان لهذه المرحلة أهمية خاصة فى عملية التنشئة الاجتماعية ، حيث تتضمن تعلم أول الأدوار الاجتماعية وتبادل التفاعل بين فاعلين يلعبان أدوارا يكمل كل منها الآخر ·

وتتميز هذه المرحلة الثانية من مراحل التنشئة الاجتماعية بخاصية أخرى هامة هى أن علاقة التفاعل بين الأم والطفل لم تعد علاقة تقوم على عناية الأم بالطفل وانما تقوم على الحب · فالطفل يبدأ فى اضفاء أهمية ، رمزية على الايماءات من جانب الأم وعلى الدفء والامان العاطفى الذى تعبر عنه · ويطور الطفل من جانبه مشاعر عاطفية ـ هى أول المشاعر الاجتماعية الحقيقية التى يخبرها ·

ويعتقد بارسونز انه فى ضوء هذا التحليل فانه من الممكن اعادة تفسير النزعة النرجسية المبكرة التى ناقشها فرويد · فقد رأى بارسونز أن هذه النزعة هى شكل من أشكال التوحد ـ الموجه توجيها خاطئا ـ مع الأم · فبدلا من حب الأم والتعرف على حبها ، يميل الطفل الى حب شخصه فقط والنظر الى الجزاءات الداخلية القائمة على قبول ذاته

self acceptance (١٣) . وبناء على ذلك فان النزعة النرجسية المبكرة لدى الطفل ما هى الا مرآه لما يستطيع أن يظهره من حب الأم ذلك الحب الذى فهمه وتمثله من خلال تفاعله معها .

والمرحلة الثالثة هى أهم المراحل فى اعتقاد بارسونز ولذلك فقد عالجها باستفاضة . نقطة التحول فى هذه المرحلة هى الأزمة الاوديبية ، Oedipal crisis (*) ، والتى حللها فرويد بدقة . ومع ذلك فان بارسونز قد أعاد تفسيرها فى ضوء البناء الاسرى والأدوار الاجتماعية . فعندما تظهر الازمة الاوديبية ، فان الطفل يدرك الأسرة على أنها تنقسم الى أربعة موضوعات اجتماعية تتميز عن بعضها طبقا لمعيارين رئيسيين . المعيار الأول هو التمييز التدرجى بين الآباء ذوى المكانة العالية وبين الأطفال ذوى المكانة المنخفضة ، أما المعيار الثانى فهو التمييز بين الفئات السابقة حسب النوع . وفى هذه المرحلة يصبح التمييز بين الأب والأم اكثر وضوحا من المرحلة السابقة . فالفرق بين الاب والام لا يرتبط بالنوع فقط ، ولكن يرتبط أيضا بالمعنى الاجتماعى المنوط بكل منهما . فالأب فى مجتمع أمريكا الشمالية ـ الذى اشار اليه بارسونز ـ هو رمز العمل والانتاج والمنافسة فى العالم الخارجى ؛ وتعد الأم المصدر الأساسى للأمن ورمز الحب والقبول غير المشروط .

وهذا التمييز بين الأدوار يعرض الطفل لمعايير عمومية وتخصصية يرمز اليها الدور الأبوى ولنماذج خصوصية ومنتشرة ترتبط بالدور الأمومى . ويعد تقسيم الدور الأبوى الى وحدتين متميزتين حادثة هامة فى التنشئة الاجتماعية حينئذ يطور الطفل ادراكا اكثر تمييزا للمعايير الاجتماعية ، ويسهم ذلك بدوره فى أحداث تباين اكبر فى البناء الداخلى للشخصية . وتكتمل هذه العملية من خلال اكتشاف الطفل للدور المنوط بنوعه هو . فالذكر الصغير يجب أن يتعلم أن هناك قيما سلوكية تنطبق عليه ولكنها لا تنطبق على الانثى الصغيرة ، والعكس بالعكس . ويتعلم الطفل هذا من خلال التوحد مع أحد والديه من نفس نوعه ، كما يتعلمه أيضا والى

(*) النسبة هنا الى أوديب بطل الأسطورة اليونانية الشهيرة . المترجمان .

حد معين من خـــلال تعلم توقعـــات الدور التى يعبر عنهـــا الوالدان والبالغون المحيطون به ٠

ويأخذ تعلم الأدوار المرتبطة بالنوع فترة طويلة فى المرحلة الأوديبية؛ فالأطفال الذكور يظهرون ارتباطا خاصا بالام أما الأناث فانهن يظهرن ارتباطا بالأب ٠ فالطابع الجنسى والعاطفى الذى يميز المرحلة الاوديبية يضع الطفل فى مناخ عاطفى قوى ملائم لاقامة توحد مع أحـد الوالدين من نفس نوعه ، ومن وجهـــة النظر السوسيولوجية للتمييز بين الأدوار المرتبطة بالنوع ٠ وهنا ألقى بارسونز الضوء على الوظيفة الاجتماعية للاثارة الجنسية والتى تؤدى الى اقامة عـــلاقات عاطفية بين الوالدين والاطفال تكون ملائمة لتعلم الادوار المنوطة بهم ٠

ومع ذلك فان الذكور لا يخبرون المرحلة الأوديبية بنفس الطريقة التى يخبرها بها الاناث ٠ ففى اعتقاد بارسونز أن هذه المرحلة تفرض على الذكور توترات اكثر مما تفرضه على الأناث ٠ وأحد أسباب ذلك أن الاناث يستطعن أن يتعرفن على دور الام بصورة مباشرة ، بينما يكون اكثـــر الجوانب ارتباطا بدور الاب ــ واعنى الجانب المهنى ــ خارج المنزل ٠ فلا يوجد أمام الطفل الذكر نموذج ملموس للدور الذكرى الخاص بالعمل ٠ ومن ناحية أخرى فان الطفل الذكر يكون على اتصال مباشر بأمه فى حين تكون الانثى أقل اتصالا بابيها ٠ وفى اعتقاد بارسونز أن هذا هو السبب فى أن عقده أوديب أقوى من عقدة اليكترا(*) ، وانهـــا تسبب كثير من الاضطراب ٠

ولقد أدى ذلك ببارسونز الى أن يؤكد على أن أهمية المرحلة الاوديبية فى ارتقاء الشخصية ــ خاصة لدى الذكور ــ ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع

(*) عقدة أوديب عند الأولاد هى الرغبة المكبوتة لدى الولد للعلاقة الجنسية مـع الأم ، وينتج عنها عـداء الأب المنافس وينتج عنها شعور بالاثم ، وأصلها الأسطورة الاغريقية عند أوديب الذى كتبت عليه الالهة أن يقتل اباه ويتزوج أمه ٠ اما عقدة اليكترا نهى عقدة أوديب عند الأناث وهى عبارة عن الرغبة المكبوتة لدى البنت للعـــلاقة الجنسية مع الأب ، وينتـــج عنها عداء الأم المنافسة وينتج عنها شعور بالاثم ٠ وعقدة اوديب واليكترا من تراث التحليل النفسى الفرويدى ٠ قاموس علم النفس تاليف حامد عبد السلام زهران، القاهرة ، ١٩٧٢ ٠ ص ١٦٨ و ص ٣٥٧ ٠ المترجمان

الصناعى المعاصر · فغياب الأب يعتبر شيئا اكثر وضوحا فى هذا النمط من المجتمعات ، وهو يؤدى الى ضرب من اللاتماثل فى الارتقاء النفسى للذكور والاناث ويسبب توترات للذكور فى المرحلـــة الاوديبية اكثر من الاناث · وذهب بارسونز الى أبعد من ذلك حيث قال أن فـــكرة الأزمة الأوديبية فى النظرية الفرويدية لا يمكن تصورها واستبعابها فى أى مجتمع الا فى المجتمع الصناعى الحديث ·

ويأتى بعد المرحلة الاوديبية فى النظرية الفرويدية ما يطلق عليه مرحلة الكمون ، والتى تختفى منها الاثارة الجنسية للطفل · وتتوافق هذه المرحلة فى المجتمع الصناعى الحديث مع بداية ذهاب الطفل الى المدرسة والاختلاط بمجموعاتمن الأطفال من نفسالعمر والتحرك داخل عالم اسرى محدود ولكنـــه اكثر تباينا · فيستطيع الطفل الآن أن يميز بين الجماعة الاسرية الداخلية التى توحد معها ، وهى الجماعةالأولى التى ينتمىاليها ، وبين العالم الذى يقع خارجها ـ وخاصة المدرسة · ففى داخل الأسرة تسود المعايير المرتبطة بشخصية الأم ؛ أما فى المدرسة فان الطفل يبدأ فى التعرف على القواعد المرتبطة بالنطاق المهنى والانتاجى · ويكتمـــل التمييز بين الأدوار الأمومية والادوار الابوية من خلال التمييز بين الأسرة والبيئات الخارجية · واعتبر بارسونز التعليم بمثـــابة حادثة تاريخية هامة بالنسبة للمراهقين لأنه يؤدى الى مزيد من التباين فى البناء العام للشخصية بالنسبة لســـكان المجتمعات الصناعية · والحقق أن النسق التعليمى قد لعب دورا ذا أهمية قصوى فى ظهور المجتمع الصناعى ، ليس فقط لأنه ساعد على تدريب القوى البشرية اللازمة للاوضاع المهنية المختلفة، ولكن لانه ساعد أيضا على نشر المعايير العمومية ، المتخصصة الرشيدة والتى تعد الأساس الثقافى لهذا النوع من المجتمعات ·

وتعد المراهقة نقطة تحول أخرى فى ارتقاء الشخصية ؛ انها تفتح مرحلة جديدة ، وتؤدى الى نضوج الشخصية ـ وهو هـــدف ليس له نهاية من الناحية العملية · وتتميز المراهقة بحالة من التوتر فى الروابط العاطفية التى تنشأ فى مرحلة الكمون بين الصغار من نفس النـــوع ـ خاصة داخل جماعات الرفاق والشلل والعصابات ـ كما تتميز بعودة الى

الاثارة الجنسية الاوديبية ، تتضح فى تزايد الاهتمام بالجنس الآخـــر · وللاثارة الجنسية هنا وظيفة اجتماعية هامة أيضا ـ ليست مجرد اكتشاف الادوار المرتبطة بالنوع وانما اداء هذه الادوار ·

والخاصية الثانية لفترة المراهقة هى اتساع العالم خارج الاسرة ، وتزايد الخبرات الجديدة فى الظروف المتاحة باســتمرار ، والاستدماج المستمر للقيم المرتبطة بالبالغين · ومع ذلك فان النضوج النفسى يعتبر شيئا نسبيا · فقد ذهب بارسونز الى أن الشخصية التى تتميز ببنـــاء نفسى متمايز (متباين) سوف تتميز بقدر من النضوج يفوق الشخصية التى تتميز ببناء نفسى أقل تباينا ، خاصة اذا حققت قدرا من التكامل · وبالتالى فان درجة التباين فى الشخصية تتزايد وفقا لدرجة تنوع المواقف الجديدة من خـــلال الخبرات الاجتماعية فى مرحلة المراهقة وما بعـــد المراهقة ·

ومن خلال هذا المنظور ، رأى بارسونز أن هنـــاك فرقا هاما فى التنشئة الاجتماعية الخاصة بالأفراد الذين وصلوا الى التعليم العالى وتلك الخاصة بالأفراد الذين لم يحققوا هذا · ويظهر هذا فى الفروق بين المدرسة الثانوية والجامعة ، وبين ثقافة الشباب (أو حتى ثقافة المراهقة) وثقافة الطلبة ، والتى اطلق عليها بارسونز لفظ : **القلمذة** Studentry .

ويعتبر بارسونز من أوائل علماء الاجتماع الذين اكدوا ، فى بداية الخمسينيات ـ على أهمية الثقافة الفرعية للشباب سواء كظاهرة اجتماعية أم مرحلة من مراحل التنشئة الاجتماعية · وترتبط هذه الثقافة الفرعية بالانشقاق الذى يظهره المراهق على الأسرة ، وبضغوط النسق التعليمى · فثقافة المراهق ، كما تتبدى فى جماعات الرفاق ، وأسلوب الحياة الشائع عنها ، مع قدر من الهامشية فى العلاقة مع المجتمع الاكبر ، هذه الثقافة توسع من المسافة بين المراهق وبيئته الاسرية · وهى تؤدى فى بعض الأحيان الى انشقاق عنيف عن دائرة الاسرة المقيـــدة والدخـــول الى العـــالم الخارجى ·

وفى نفس الوقت يجد المراهقون الذين يتعرضون لضغوط وتوترات

العملية التعليمية ، فى ثقافة الشباب الفرعية عوضا عن ذلك · فالثقافة الفرعية للمراهقة تؤكد على الخبرات الجماعية التى تتميز بالخصوصية والانتشار فى مقابل ضغوط التعليم العمومية المتخصصة والرشيدة · ومن ثم فان ثقافة الشباب تكون استمرارا لبعض خصائص الأسرة ، ولكن فى بناء قائم على المساواة الصارمة حيث تتحطم مظاهر التفاوت فى السن والخبرة والسلطة · ففى مجتمع يقوم على الترشيد والانتاجية ، تمثل ثقافة المراهقة مجموعة من العلاقات الجماعية الأولية (بمفهوم تونيز) كما تمثل مرحلة انتقالية الى حياة البلوغ · فالمعايير التى تقوم على العمومية والتخصص والفاعلية والترشيد والتى تعتبر ضرورية لقيام المجتمع الصناعى تسبب بعض التوترات النفسية خاصة بالنسبة للشباب : وتعد ثقافة الشباب احد ردود الفعل تجاه هذه التوترات ، كنوع من الهروب من قسوة ثقافة المجتمع الصناعى ·

ومنذ الحرب العالمية الثانية عرفت االولايات المتحدة ثورة تعليمية جديدة ؛ فالغالبية العظمى من الشباب تكمل التعليم فى المدارس العليا ، ليس هذا فقط ، وانما يدخل نصف هؤلاء الجامعة · واعتقد بارسونز أن هذا التطويل فى التعليم لنسبة كبيرة من الشباب قد خلق مرحلة خامسة فى التنشئة الاجتماعية · فقد ذهب الى أن هؤلاء الذين يكملون تعليمهم حتى المستوى الجامعى يطورون شخصية ذات بناء اكثر تباينا من بناء الشخصية لدى هؤلاء الذين ينهون تعليمهم بعد المرحلة الثانوية (المدرسة العليا) · فالتعليم الجامعى يتضمن اتصالا بما اطلق عليه بارسونز « الرشد المعرفى » Cognitive Rationality والذى من خلاله يفهم العالم فى ضوء مقولات اكثر تعقيدا واكثر منطقية · غير أن الطالب الجامعى يجب أن يظهر قدرا من الخضوع للاساتذة ، ومن ثم فانه يعيش فى موقف يشبه الى حد ما الموقف داخل الأسرة ، ويحدث هذا فى سن يستطيع فيه الشاب أن يعيش حياة بها قدر من الاستقلال النسبى والمسئولية · وهذه الحالة المطولة من الشعور بالنقص والخضوع هى أحد مصادر عدم الرضا التى يتعرض لها الطلاب ، والتى تنعكس فى البحث عن أشكال جديدة من التضامن قائمة على المساواة فى حركات الاحتجاج والمطالبة بادخال الممارسة الديمقراطية فى التعليم · وتميل

الثقـافة الفرعية الطلابية ـ على عكس الثقافة الفرعيـة للمراهقة ـ الى اسلوب النضال والعمل السياسى ٠

ومن زواية أخرى ، فان الحياة الجامعية تعتبر استمرارا للتنشئة الاجتماعية فى مجـال مهنى معين ، يتضمن معرفة متخصصة وأخلاقا مهنية معينة ٠ وتعد التنشئة الاجتماعيـة المرتبطة بعالم العمـل بالنسبة لطالب الجامعة اطول واعمق واكثـر وضـوحا من الآخرين ٠ وسـوف تزداد هذه القضية وضوحا فيما بعد عند مناقشة بارسونز للتكوين المهنى فى المجتمع الصناعى ٠

سادسا : باثولوجيا الشخصية

حول بارسونز تحليلة للشخصية الى تفسير للأعراض الباثولوجية للشخصية ٠ ولكى نفهم هذا يجب أن نعود الى شكل (١٣) ٠ تنتج الاعراض السيكوباثولوجية ـ طبقـا لمـا ذهب اليـه بارسونز ـ من عدم التوازن بين المدخـلات والمخـرجات ـ أى من حـدوث تضخـم أو عجز فى أى منهما ٠ فالشخصيـة يجب أن تتحوط بميكانيزمات دفاعيـة من أجـل امتصـاص الفـائض (فى المخرجات) أو من أجـل تعويض النقص فى المدخلات ٠ ويلخص الشـكل رقم (١٧)(١٤) تفكير بارسونز فى هـذا الخصوص ٠ فهـو يوضح على سبيل المثـال أن الهـذاء (البارانويا أو جنون العظمـة) تنتج من تضخم فى المدخـلات الخاصة بالمعلومات التى تغرق الشخصية والتى يجب أن تجد لها مخرجا فى ميكانيزم الاسقاط ٠ أما الفصام (الشيزوفرنيا) ـ من الناحية الاخـرى ـ فانه يتميز بنقص الاتصال بالعالم الخارجى ونضـوب المعلومات ، حيث تعوض الشخصية هذا بحلول نرجسيه مبالغ فيها ٠

ويشتمل الشـكل رقم (١٧) أيضا على عنصـر يتصل بعلم دراسة اسباب الامراض aetiology ؛ فقـد حاول بارسونز أن يوضح الرابطـة الجوهرية بين هـذه الأعراض الباثولوجية وبين المراحل الثلاثة الأولى للتنشئة الاجتماعية ٠

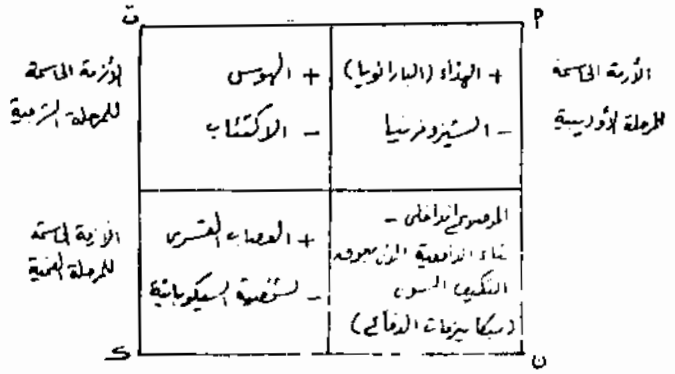

+ تضخم المدخلات
- نقص المدخلات

شكل رقم (١٧) مبدأ الاعراض الباثولوجية

سابعا : خاتمة

لقد طور بارسونز نظرية فى علم النفس على جانب كبير من التفصيل والاحكام · ولقد كان من المتوقع أن يضع بعض الافكار العامة التى تمكنه من ربط الخطوط العامة لنظرية فرويد بطريقة سطحية باطاره التحليلى · غير أنه ذهب بتحليلة للشخصية الى أبعد من هذا ·

ولقد ذهب بارسونز ـ مع هذا ـ الى انه يجب التساؤل الى أى مدى ظل هو مخلصا لفرويد ، والذى ادعى (بارسونز) أنه قد تأثر به · ولكن بالرغم من أن نظرية بارسونز فى علم النفس قد صيغت فى لغة فرويدية ، الا أن الخط الفرويدى داخلها يبدو باهتا فى النهاية · فطبقا للتفسير الفرويدى تلعب الغرائز والدوافع drives والليبيدو (القوة الحيوية الدافعة للشهوة الجنسية) دورا رئيسيا فى الشخصية · فهى تنتظم حول هذه الأشياء ـ تعبر عنها ، أو تكبتها أو تستخدمها أو تقاومها · وتكمن أصالة فرويد فى أنه قد أوضح الأهمية الدينامية للغرائز الجنسية والشهوانية ، حتى وان بدت هذه الغرائز مكبوتة · وعلى العكس من ذلك فان الشخصية فى نظرية بارسونز تتجرد من الغرائز ؛ فهذه الغرائز تقل اهميتها من أجل استدماج القيم الثقافية والمعايير الاجتماعية · ولم يعد الهو ذلك المرجل البخارى المولد للطاقة كما هو الحال فى نظرية فرويد · فالمحقق أن فكرة استعداد الحاجة

need-disposition تشتمل على فكرة مستلزمات النسق الى جانب الرغبات والميول • غير أن بارسونز أكد على أن هذه الاستعدادات يتم نقلها بالتعلم وليست وراثية ، ويعنى ذلك أنها لاتشبه الغرائز بأى حال من الأحوال • فلكى يتجنب التفسير البيولوجى لنظرية الغرائز ، حاول بارسونز تقديم صورة ذات طابع سوسيولوجى صارم للشخصية • وفى اعتقادى ـ أخيرا ـ أن نظرية تالكوت بارسونز فى الشخصية ـ أقرب الى مدرسة التفاعل الرمزى American Symblic Interactionist School متأثرا بصفة خاصة بجورج هربرت ميد(*) • كما أن هناك بعض الروابط التى تربطها بالفرويدية الجديدة فى أمريكا(**) American neo-freudianism ؛ فقد أظهر كتاب مثل ايرك فروم E. Fromm وايرك ايركسون E. Erikson ، وكارين هورنى K. Horney بعض الميول السوسيولوجية •

وفضلا عن ذلك ، فان وصف بارسونز لعملية التنشئة الاجتماعية لا ينجو من النقد • فما دام قد عالج هذه العملية فى اطار المجتمع الامريكى ، فانه من الغريب حقا أن يستخدم مثل هذا النموذج المحافظ للأسرة الامريكية • وفى هذه النقطة ، يظل بارسونز فرويديا متعصبا ؛ فليس من الصعب رؤية الاسرة البرجوازية المألوفة لدى سيجموند فرويد فى وصف بارسونز (لعملية التنشئة الاجتماعية) فلم يأخذ بارسونز فى اعتباره التغيرات الجذرية التى شهدتها الأسرة الامريكية أو نتائج هذه التغيرات ونتائجها المحتملة بالنسبة لعملية التنشئة الاجتماعية •

(*) عن التفاعلية الرمزية انظر الفصل الأخير من كتاب أحمد زايد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ المترجمان

(**) يولى الفرويديون الجدد اهتماما صريحا بتأثير الضغوط الاجتماعية على بناء الشخصية ، ويبتعدون عن طريقة فرويد فى التفسير بالعوامل البيولوجية والغريزية • ويذهب بعض المحدثين من أصحاب مدرسة التحليل النفس الى تأكيد دور الخبرات التى يتلقاها الفرد خلال عمليات التنشئة الاجتماعية فى تشكيل بناء شخصيته • فأشكال الضبط التى تستخدم مع الفرد منذ بداية حياته تمارس تأثيرا على ادراكاته واستجاباته وحاجاته واتجاهات النمو السيكولوجى لديه • وبهذا فان الفرويديين الجدد يكونون قد عدلوا من تحليلات فرويد التى تهتم بالغرائز ليصبحوا اكثر قربا من التفسيرات ذات الطابع السوسيولوجى • انظر :

عبد الحليم محمود ، **الأسرة وابداع الأبناء** ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ص ص ٣٠-٢١ •

المترجمان

وعلى سبيل المثال ، فان الحقيقة التى مؤداها أن كثيراً من النساء قد خرجن الى ميدان العمل لم تظهر فى نموذج بارسونز بأى شكل ؛ وينسحب نفس الكلام على الانفصال والطلاق(١٥) · فلم يسأل بارسونز نفسه ما هى النتائج التى تترتب على خروج الزوجة للعمل وتأثيرها المحتمل على تصورات الام ودورها فى تنشئة الاطفال ؟ وكذلك فان الطلاق واعادة الزواج من جانب الازواج والزوجات يغير العلاقات بين الاطفال والاباء تغييرا جذريا ·

ولم تترك حملات تحرير المرأة فرصة للهجوم على بارسونز لوضعة صورة تقليدية للمرأة · فقد أضفى عليهن دوراً تعبيريا ، يرتبط بشدة بالوجدانية ، والخصوصية والانتشار · ويعبر هذا عن تصور المرأة كما هو موجود فى الطبقة الوسطى الامريكية فقط ، ويؤدى هذا الى تشجيع المكانة المنخفضة التى تتمرد عليها المرأة الامريكية ·

وأخيرا ، فانه من المدهش أن التنشئة الاجتماعية كما وصفها بارسونز تعتبر عملية ذات طريق واحد ــ فالشخص الذى ينشأ هو دائما طفل والذى يقوم دائما بالتنشئة هو البالغ · ومع ذلك فان فى فترات التغير السريع ، وفى حالة المهاجرين ، فان الصغار يقومون على تنشئة اباءهم · ويبدو أن بارسونز لم يول أى اهتمام لتنشئة الآباء والبالغين بصفة عامة من خلال الصغار ، وهى ظاهرة ملحوظة فى مجتمع كالولايات المتحدة ·

الحواشى

(١) يمكن أن نتعرف على نظرية بارسونز فى علم النفس فى الأعمال التالية :

Toward a General Theory of Action (1951) PP. 110 - 58; **Family, Sociolization and Interaction Process** (1955), **Social Structure and Personality,** (1969); "An approach to Psychological Theory in terms of a theory of Action", in : **Psychology: A Study of a Science,** edited by Sigmund Koch, (New York, McGrow-Hill, 1959) Vol. 3. PP. 612 - 711; "The Contribution of Psycho-Analysis to the Social Science", **Science and Psycho-Analysis,** Vol. 4, 1961; "The Position of Identity in the General Theory of Action", in: **The Self in Social Interction,** edited by G. Gordon and K.J. Gergen (New York, John Wiley, 1968).

(٢) جاءت هذه الفقرة غامضة فى الصياغة الفرنسية ، ولقد لخصناها قدر المستطاع . ولقد نشأ الغموض ، بطبيعة الحال ، من تمسك بارسونز الشديد بنموذجه عن مظاهر التبادل بين الأنساق الفرعية (SJM) .

(٣) انظر :

T. Parsons, "The Position of Identity in The General Theory of Action", **op. cit.**, P. 14 (SJM).

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠ ولقد أخذنا هذين النصين من بارسونز مباشرة بدلا من صياغة روشية (SJM) .

(٥) تعتبر مقالة بارسونز المعنونة « وضع الهوية فى النظرية العامة للفعل » ، والتى اعتمدنا عليها فى هذا التحليل ، أحدث كتابات بارسونز فى نظرية الشخصية . ولكن توجد بعض الاختلافات بين ما جاء فى هذا المقال وما جاء فى كتاب « الأسرة والتنشئة وعملية التفاعل » المنشور عام ١٩٥٥ . ولقد ظهر تطور هام فى معالجته لمفاهيم الاد والانا والانا الأعلى ، ولكن من المستحيل الاستفاضة فيه هنا .

(٦) أنظر المقال التالى :

"An Approach to Psychological Theory in terms of the Theory of Action", **op. cit.**, PP. 659 - 71.

(٧) انظر كتاب « الأسرة والتنشئة وعمليات التفاعل » ص ١٧٦ . ويبدو أن مصطلحى الانجاز achievement والانجاز الكامل accomplishment مترادفان تقريبا ، مثلهما مثل مصطلحى الاشباع gratification والاشباع الذاتى satisfaction ولقد شرح بارسونز الفرق بين هذه المصطلحات على النحو التالى « عندما يظهر ناتج نسق الشخصيه فى أشكال اثابه متحققة أثناء علاقة بموضوع موقفى يسعى الفاعل فيها الى تحقيق

هدف معين فاننا نطلق على هذا اشباعاً gratification . اما عندما يظهر هذا الناتج فى شكل اثابة نرجسية داخلية مشتقة من العلاقات بين الانساق للفرعية للدافعية فاننا نطلق عليه اشباعاً ذاتياً . اما عندما يظهر ناتج نسق الشخصية فى شكل المحافظة على العلاقات بين الموضوعات الموجودة فى الموقف أو تحسين هذه العلاقات فى دلالتها الادائية كمسهلات للتفاعل فاننا نسم هذا الناتج بانه انجاز achievement ، وأخيراً فانه اذا ظهر ناتج نسق الشخصية فى شكل المحافظة على الشىء المستدمج داخل الشخصية أو تحسينه كانماط للقيمة فاننا نطلق عليه انجاز كامل accomplishment :

أنظر المرجع السابق ص ١٧٥ ، وأنظر أيضاً كتاب « أوراق عمل فى نظرية الفعل » المنشور ١٩٥٣ ص‌ص ٢١٥ ـ ٢١٩ (SJM) .

(٨) انظر كتاب « الأسرة والتنشئة وعملية التفاعل » ص ١٤٩ (SJM) .

(٩) نقلا عن المرجع السابق ، ص ١٩٨ (SJM) .

(١٠) المرجع السابق ص ١٩٧ . ولقد فصلنا قليلا فى عرض روشية اعتماداً على المرجع السابق ص‌ص ١٩٣ ـ ١٩٩ (SJM) .

(١١) نقلا عن المرجع السابق ، ص ٢١٧ . ولقد ظهر التصنيف الأكثر تفصيلا فى المرجع السابق ، ص‌ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(١٣) المرجع السابق ، ص ٧٣ (SJM) .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ (SJM) .

(١٥) ومع ذلك فقد ناقش بارسونز معدلات الطلاق فى أمريكا ، فى المرجع السابق ص‌ص ٤ ـ ٥ ، ص‌ص ٢٤ ـ ٢٥ .

ولقد أعرب عن وعيه بتأثيرات الأسر المفككة على التنشئة الاجتماعية فى حاشية على ص‌ص ٩٤ ـ ٩٥ (SJM) .